

الغدير

[100] لها الناس في الطريق يقولون: يا أم المؤمنين ! ما الذي أخرجك من بيتك ؟ فلما أكثروا عليها تكلمت بلسان طلق وكانت من أبلغ الناس فحمدت الله وأثنت عليه ثم قالت: أيها الناس والله ما بلغ من ذنب عثمان أن يستحل دمه (1) ولقد قتل مظلوما، غضبنا لكم من السوط والعصا ولا نغضب لعثمان من القتل، وإن من الرأي أن تنظروا إلى قتلة عثمان فيقتلوا به ثم يرد هذا الأمر شوري على ما جعله عمر بن الخطاب. فمن قائل يقول: صدقت. وآخر يقول: كذبت. فلم يبرح الناس يقولون ذلك حتى ضرب بعضهم وجوه بعض فبينما هم كذلك أتاهم رجل من أشرف البصرة بكتاب كان كتبه طلحة في التآليب على قتل عثمان. فقال لطلحة: هل تعرف هذا الكتاب ؟ قال نعم. قال: فما ردك على ما كنت عليه، وكنت أمس تكتب إلينا تؤلبنا على قتل عثمان وأنت اليوم تدعونا إلى الطلب بدمه ؟ وقد زعمتما أن عليا دعاكما إلى أن تكون البيعة لكما قبله إذ كنتما أسن منه فأبيتما إلا أن تقدماه لقرابته وسابقتة فبايعتماه، فكيف تنكثان بيعتكما بعد الذي عرض عليكما ؟ قال طلحة: دعانا إلى البيعة بعد أن اغتصبها وبايعه الناس، فعلمنا حين عرض علينا أنه غير فاعل ولو فعل أبى ذلك المهاجرون والأنصار، وخفنا أن نرد بيعته فنقتل فبايعناه كارهين، قال: فما بدا لكما في عثمان ؟ قال: ذكرنا ما كان من طعننا عليه وخذلاننا إياه، فلم نجد من ذلك مخرجا إلا الطلب بدمه. قال: ما تأمراني به ؟ قال: بايعنا على قتال علي ونقض بيعته، قال: أرايتما إن أتانا بعدكما من يدعونا إليه ما نصنع ؟ قال: لا تبايعه. قال ما أنصفتما تأمراني أن أقاتل عليا وأنقض بيعته وهي في أعناقكما وتنهاني عن بيعة من لا بيعة له عليكما ؟ أما إننا قد بايعنا عليا، فإن شئتما بايعناكما بيسار أيدينا. قال: ثم تفرق الناس فصارت فرقة مع عثمان بن حنيف، وفرقة مع طلحة والزبير. ثم جاء جارية بن قدامة فقال: يا أم المؤمنين ! لقتل عثمان كان أهون علينا من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون، إنه كانت لك من الله حرمة وستر، فهتكت سترك، وأبحت حرمتك، إنه من رأى قتالك، فقد رأى قتلك، فإن كنت يا أم المؤمنين ! أتيتنا طائعة ؟ فارجعي إلى منزلك، وإن كنت أتيتنا مستكرهة ؟ فاستعبي (2). (1) أتى هذا المحال والتمحل من قوارصها التي مرت في ص 77 - 85. (2) الإمامة والسياسة 1: 60.